وموافقته لفعل الأعاجم والمجوس»[12].

فمن الحُمق والجهل والسَّفه اعتبارُ وجه الحليق أحسنَ وأجملَ وأنظفَ من وجه اللِّحياني.

الله يخزي الشَّيطان ويلعنه

يقول بعض النَّاس ناصحًا أخاه ـ عند الغضب مثلا ـ: «أخْزِ الشَّيطان»، فيجيب المنصوح بقوله: «الله يخزيه ويلعنه»، ومعنى أخزاه: أهانه وفضحه.

يظنُّ هذا العبد ـ إذا قال هذه الكلمة ـ أنَّه قد تغلب على الشَّيطان وانتصر عليه، وهو لا يدري أنَّها لا تزيد الشَّيطان إلاَّ فرحًا وسرورًا، وتعاظمًا وطغيانًا.

كان رجل رديف النَّبيِّ ﷺ على حمار، فعثر الحمار فقال: تعس الشَّيطان، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ تَعِسَ الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ**»[13]، تعس: عثر وانكبَّ وهلك.

يقول العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله في بيان الألفاظ المكروهة:

«...ومثل هذا قول القائل: أخزى الله الشَّيطان وقبَّح اللهُ الشَّيطان، فإنَّ ذلك كلَّه يفرحه، ويقول علم ابن آدم أنِّي قد نلته بقوَّتي، وذلك ممَّا يعينه على إغوائه ولا يفيده شيئًا، فأرشد النَّبيُّ ﷺ من مسَّه شيءٌ من الشَّيطان أن يذكر الله تعالى ويذكر اسمه، ويستعيذ بالله منه، فإنَّ ذلك أنفع له وأغيظ للشَّيطان»[14].

إنَّ الَّذي يحفظ العبد من نزغ الشَّيطان ووسوسته، ويبعد عنه كيده وشرَّه ذكرُ الله تعالى وتلاوةُ كتابه والاستعاذةُ والاعتصامُ به، وسؤاله أن يصرف شِرْكه عنه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فصلت].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«فأمَّا شيطان الجنِّ فإنَّه لا حيلة فيه إذا وسوس إلاَّ الاستعاذة بخالقه الَّذي سلَّطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفَّه عنك وردَّ كيده»[15].

وقال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ** ﴿٩٧﴾ **وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ** ﴿٩٨﴾﴾ [سورة المؤمنون].

قال ابن كثير في بيان معنى: ﴿**أَن يَحْضُرُونِ**﴾:

«أي في شيء من أمري، ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور ـ وذلك مطردة للشَّياطين ـ، عند الأكل والجماع والذَّبح، وغير ذلك من الأمور»[16].

(12) «الفواكه الدواني» (3/1554).

(13) رواه أحمد (5/59)، وأبو داود (4982)، وإسناده صحيح، «صحيح الترغيب» (3129).

(14) «زاد المعاد» (2/356).

(15) «تفسير القرآن العظيم» (7/181).

(16) «تفسير القرآن العظيم» (5/492).

وقال النَّبيُّ ﷺ للَّذي كان يسُبُّ صاحبه مغضَبًا قد احمرَّ وجهه: «**إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[17]، أعوذ بالله أي: أعتصم وأمتنع وأحتمي به تعالى.

وعن عبد الرَّحمن بن خنبش رضي الله عنه قال: جاءت الشَّياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية وتحدَّرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شُعلة من نار، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ، قال: فرُعب... وجاء جبريل عليه السلام فقال: **يا محمد! قُلْ، قال: ما أقول؟ قال: قُلْ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ، فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[18].

والأذكار النَّبويَّة وأنواع الاستعاذات الشَّرعيَّة في هذا الباب مبيَّنَة ومفصلَّة في كتب السُّنَّة والأذكار، فمن حافظ وواظب عليها حفظه الله تعالى وردَّ عنه كيد عدوِّه.

حكي عن بعض السَّلف أنَّه قال لتلميذه: ما تصنع بالشَّيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأردُّه جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفَّه عنك[19].

ثمَّ إنَّ قول العبد: «أخزى الله الشَّيطان» من السَّبِّ الَّذي نهى عنه النَّبيُّ ﷺ لكونه لا يدفع شرًّا ولا يجلب نصرًا وإنَّما يزيد الشَّيطان تعاظمًا وكيدًا، قال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَتَغَيَّظُ، وَلَكِنْ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهِ**»[20].

فسبُّه غفلةٌ عمَّا يطرده ويُذِلُّه ويَقهرُه، وهو ذكر الله والاستعاذة من شرِّه، ومثلُ سابِّ الشَّيطان مثلُ رجل واجهه عدوُّه بالسِّلاح والضَّرب والتَّقتيل، وهو مشتغل بسبِّه وشتمه، لا يزيد على ذلك.

أمَّا لعن الشَّيطان:

فهو ملعون، وقد حقَّت عليه اللَّعنة إلى يوم الدِّين، سواء أُلعن أم لم يُلعن، والنُّصوص جاءت آمرة بذكر الله والاستعاذة من شرِّه، مرشدة لأدعية وأذكار تطردُه وتُبطل كيده.

لكن ثبت في «صحيح مسلم» (542) عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ**»، ثمَّ قال: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ**» ثلاثًا، فسألوه عن ذلك، فقال: «**إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيس جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ...**».

(17) رواه البخاري (6115)، ومسلم (2610).

(18) رواه أحمد (419/3)، وإسناده صحيح. «الصحيحة» (2995).

(19) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (35).

(20) أخرجه تمام الرازي في «فوائده» (1137)، وإسناده صحيح. «الصحيحة» (2422).

فهذا يفيد أنَّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لعن إبليس.

وطريقة الجمع والتَّوفيق بين هذه النُّصوص أن يقال:

يجوز لعن الشَّيطان عند تعرُّضه للإنسان ـ مثل حالة إخراجه من بدن المصروع ـ مع الاستعاذة بالله من شرِّه؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ جمع بينهما، على أن لا يتَّخذ ذلك عادةً وديدنًا.

جاء في «فتاوى اللَّجنة الدَّائمة» (70/26):

«يجوز للإنسان أن يلعن الشَّيطان إذا تعرَّض له ليضرَّه أو جاهده ووسوس له ليفتنه عن طاعة الله، لكن لا يترك التَّعوُّذ منه بالله، والإكثار من ذكر الله وقول بسم الله ونحو ذلك من الأذكار والأدعية المشروعة ليتحصَّن المسلم بالله من شرِّه، وعملاً بالآيات والأحاديث السَّابقة، وينبغي للإنسان أن لا يجعل لعن الشَّيطان ديدنه بدون سبب، اقتداءً برسول الله ﷺ».

* * *

والله الهادي إلى الصِّراط المستقيم، وصلَّى الله وسلم وبارك على عبده ونبيِّه محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.